المحور 2. المحاضرة 4

خصائص المنهج العلمي

أولا– تعريف العلم:

في لسان العرب لابن منظور أن العلم نقيض الجهل، وقيل أيضا هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع[1]. وفي كتاب التعريفات للجرجاني: العلم هو الادراك مطلقا تصورا كان أو تصديقا يقينا أو غير يقين، وهو إدراك المسائل عن دليل[2]. وفي كشاف الاصطلاحات: العلم هو قسم من المعرفة، وهو ما وضع لشيء بعينه، أو لشيء بشخصه[3]. وفي كتاب بدء التاريخ لمطهر المقدسي: العلم اعتقاد الشيء على ما هو به إن كان محسوسا فبالحس، وإن كان معقولا فبالعقل، والحس والعقل أصل ما ترد إليه العلوم كلها فما قضينا بإثباته ثبت وما قضينا بنفيه انتفى، ويطلق لفظ العلم على الفهم والوهم والذهن والفطنة واليقين والخطرة والمعرفة وكل ما يحصل منه إدراك شيء ظاهر أو باطن ببديهة عقل أو مباشرة حاسة أو استعمال آلة كالاستدلال والفكرة والبحث والتمييز والقياس والاجتهاد لأن من خصال كلها آلات إدراك لعلم وطرق التوصل إليه[4].

ويأتي تعريف ابن خلدون للعلم في انه تصور للماهيات، ويعني ادراك شاذج من غير حكم معه، وإما تصديقا، أي حكما بثبوت أمر، وفي هذا يقول:" العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الامصار تحصيلا وتعليما هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه. والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية بموضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ويحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر. الثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستمدة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل"[5].

وجاء في القواميس الحديثة تعريف لماهية العلم، ومنها قاموس ويستر: العلم هو المعرفة المنسقة التي تنشأ عن الملاحظة والدراسة والتجريب، والتي تتم بغرض تحديد طبيعة او أسس وأصول ما تتم دراسته، والعلم فرع من فروع المعرفة او الدراسة خصوصا ذلك الفرع المتعلق بتنسيق وترسيخ الحقائق والمبادئ والمناهج بواسطة التجارب والفروض[6].

ثانيا– ماهية المنهج:

---

[1] ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص 370.

[2] الجرجاني، كتاب التعريفات، تح، ابراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1998م، ص 149.

[3] التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تح: أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج3، ص 332.،

[4] المقدسي، كتاب البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ج1، ص 20-21.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 549.

[6] اسماعيل سامعي، المرجع السابق، ص 10.

المنهج هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة. وهو بهذا مرسوم بطريقة تأملية مقصودة، وقد يكون نوعا من السير الطبيعي للعقل لم يحدد أصوله مسبقا. ذلك أن الانسان في تفكيره قد ينظم أفكاره ويؤتيها فيما بينها حتى تتأدى إلى المطلوب على أيسر وجه وأحسنه، على نحو طبيعي تلقائي ليس فيه تحديد ولا تأمل قواعد، فهذا منهج أيضا، لكنه تلقائي. وهناك منهج نساير فيه المعارف للوصول إلى لتحصيل ما هو مجهول لنا، فهدفه إيجاد الحلول، ونحدد قواعده ونسن له قوانينه، ونتبين أوجه الخطأ والانحراف من اوجه الصواب والاستقامة. ومنه نحن أمام نوعين: تلقائي، وآخر تأملي، وهو البرنامج الذي يحدد لنا السبل للوصول إلى الحقيقة أو الطريق المؤدي إلى كشف حقائق العلوم[7].

وعليه، فالباحث خلال عملية البحث في حقائق الظواهر والأشياء، وتفسيرها بشكل دقيق، يحتاج إلى تتبع مجموعة من الخطوات والاجراءات مستخدما مجموعة من الادوات والأساليب، ومتقيدا بمجموعة من القواعد والمبادئ العلمية، والتي تمكنه من تحديد دقيق للمشكلة أو الظاهرة، وتجميع الحقائق والبيانات المرتبطة بها، وتنظيمها وتحليلها ومن ثم تفسيرها والوصول إلى نتائج توصله إلى فهم تلك الظاهرة أو حل المشكلة، وهذا الطريق الذي يسلكه الباحث يتقيد فيه بالموضوعية أثناء بحثه، وتفسيرات دقيقة ومنطقية تخلو من كل تحيز أو ذاتية في التفسير[8]، مما يعطي له صفة الفن التنظيمي لسلسة أفكاره، والغاية منها الكشف عن الحقيقة أو البرهنة عليها[9]. فمنهج علمي معناه طريقة جماعية لاكتساب المعارف القائمة على الاستدلال وعلى اجراءات معترف بها للتحقق في الواقع[10].

ثالثا– مميزات المنهج العلمي:

يجب أن يتصف منهج البحث العلمي بمجموعة مترابطة من الخصائص البنائية، وهذا لتتحقق الأهداف المرجوة منه، ويمكن بيان هاته الخصائص في الآتي:

3–1– الموضوعية: أن تكون خطوات البحث العلمي كافة قد تم تنفيذها بشكل موضوعي وليس شخصي متحيز. ويحتم هذا الامر على الباحث في تخصصه أن يترك مشاعره وآراءه الشخصية تؤثر على النتائج التي يمكن التوصل بها بعد تنفيذ مختلف مراحل أو الخطوات المقررة للبحث العلمي. بمعنى آخر، عدم اللجوء لإلى التحريف أو التشويه للنتائج التي تم التوصل إليها لخدمة أغراض شخصية أو سياسية أو حزبية أو قبلية، وهو ما وقفنا عليه بشكل ملحوظ في منهج التدوين التاريخي عند مدرسة العراق الاسلامية[11]، وهنا يجب أن يبتعد الباحث عن

---

[7] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ص 6-7.

[8] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص 98-99؛ محمد السماك، طرق البحث العلمي – أسس وتطبيقات- دار اليازوري، الاردن، 2011م، ص 60.

[9] محمد سرحان المحمودي، المرجع السابق، ص 14؛ المرجع نفسه، ص 4.

[10] موريس أنجرس، المرجع السابق، ص 102.

[11] عبد العزيز الدوري، المرجع السابق، ص 137.

التشدد او التزمت في الرأي، او إدخال المشاعر والأحاسيس في صلب بحثهم، لأن ذلك سيحيد البحث عن نتائجه المرجوة بدخول فكر الذاتية عليه[12]. إذا الباحث ملزم بالاعتماد على مقاييس علمية دقيقة وإدراج الحقائق التي تدعم وجهة نظره، وكذلك الحقائق التي تتضارب مع منطلقاته وتصوراته، فالنتيجة لا بد أن تكون منطقية ومجسمة للواقع، وعلى الباحث أن يتقبل ذلك ويعترف بالنتائج المستخلصة حتى ولو كانت غير مطابقة لتصوراته وتوجهاته[13].

3-2-التغير المستمر والتراكمية: البحث العلمي نشاط متجدد، ذو حركة ديناميكية، بعيدة عن الجمود ومتصلة بالإنسان في نشاطه وحركته، وتطويره المستمر للمعرفة العلمية، فمن خلال البحث المستمر عن إضافة معلومات لها، والقابلية للتطوير وللتعديل أيضا، فهي ليست جامدة، ويمكن من خلالها استبدال المعارف أو المعلومات القديمة[14]. فالمعرفة العلمية تعود بجذورها إلى بداية الحضارات الانسانية، وقد بنيت معارفنا فوق معارف كثيرة أسهمت فيها حضارات إنسانية مختلفة، لأن المعرفة تبنى هرميا من الأسفل إلى الاعلى كما هو الحال مع هرم بلوم للأهداف، نتيجة تراكم وتطور المعرفة العلمية والتراكمية العلمية، إما انها تأتي بالبديل فتلغي القديم، وهو ما حدث مع فكر نيوتن، وبالمثل فإن الكثير من النظريات والمعارف العلمية في مجالات مختلفة استغنى عنها الانسان واستبدلها بمفاهيم جديدة ومعارف متجددة بالأخص في العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تتسم بالتغير والنسبية[15].

3-3- التشابك فيما بينها: إن البحث العلمي هو الوسيلة أو الطريق للوصول إلى المعرفة واكتشاف المعلومات وصولاً إلى حل بعض المشكلات التي تواجه الإنسان باتباع المنهج العلمي، وعملية الوصول إلى هذه المعرفة تتطلب خطوات علمية منهجية متسلسلة، ومتشابكة فيما بينها[16]. وعليه وجب تتبع جميع القواعد العلمية المطلوبة لدراسة كل موضع، لأن غياب بعض العناصر أو تحييد الترتيب المنطقي للخطوات يقود في النهاية إلى نتائج مخالفة وغير دقيقة، وعليه، فإن عدم استكمال الشروط العلمية المطلوبة يحول دون حصور الباحث على نتائج علمية مقبولة[17]. ففي منهج البحث التاريخي يجب على الباحث اتباع مخططا واضحا يوضع فيه المركبات المكثفة من الحقائق في أماكنها الملائمة، مترابطة فيما بينها، بحيث يخرج منها الهيكل المتين للبناء التاريخي سليما وصحيحا، وغير منقوص[18].

---

[12] محمد أعبيدات، المرجع السابق، ص 8.

[13] محمد بن عميرة، المرجع السابق، ص 32-33؛ عمار بوحوش، المرجع السابق، ص 8.

[14] عمار بوحوش وآخرون، "أهمية المنهجية في العلوم الاجتماعية": ضمن الكتاب الجماعي: -منهجية البحث العلمي وتقنياته في العلوم الاجتماعية-، منشورات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الإستراتيجية والسياسية والاقتصادية، برلين، 2019م، ص 10؛ محمود درويش، المرجع السابق، ص 32.

[15] محمود درويش، المرجع الساق، ص 20-21؛ بدوي، مناهج البحث، ص 12.

[16] خطوات كتابة البحث العلمي في الدراسات الانسانية، مركز البيان للدراسة والتخطيط، بغداد، 2017م، ص 11.

[17] عمار بوحوش، دليل الباحث، المرجع السابق، ص 8.

[18] ليلى الصباغ، المرجع السابق، ص 282.

3-4-التسلسلية: البحث العلمي نشاط عقلي منظم ومضبوط ودقيق ومخطط، بحيث يجب أن يعتمد على أسلوب متسلسل ومنهجية ملائمة، وعرض مختلف المعلومات والبيانات بشكل منهجي سليم ومنظم[19]، ففي الأبحاث العلمية لا يمكن نجاح البحث دون الفرضيات والاختبارات والتجارب، وهذا ما يجعل الباحث يعتمد بشكل كبير على مناهج البحث العلمي، فالطريقة العلمية يتم تقديمها في الغالب كتسلسل ثابت من الخطوات، إلا أن هذه الإجراءات تعتبر أفضل كمبادئ عامة يوجد بعض الصعوبات في الشكل العام للأسلوب، فلا يمكن وضع فرضيا لمشكلة غير موجودة، ولا يمكن الوصول الى نتائج بحث دون المرور بمرحلة فحص الفرضيات المقدمة لحل اشكالية ما، كما لا يمكن وضع جملة فرضيات متبانية منها المنطقي ومنها غير المنطقي[20]. وعليه، فالتسلسلية من أبرز خصائص منهج البحوث العلمية، وينعكس تسلسل خطواته المطبقة بالبحث لحل المشكلة المطروحة؛ طريقة التسلسل في المعلومات وترتيبها ليصل المعنى بشكل كامل، على سبيل المثال في المنهج الوصفي يتم ذكر المشاهدات واحدة تلو الأخرى ليكتمل في النهاية وصف كامل المشهد، ومنه أشتق مفهوم البحث العلمي على أنه اتباع نظام متسلسل من العمليات المنظمة للبحث في أمر معين أو مشكلة وفق دراسات سابقة، وخطط منهجية موضوعة للوصول إلى أفضل النتائج، والاعتماد على التسلسل المنطقي لخطوات البحث العلمي ابتداءً من تحديد المشكلة وجمع المعلومات الدقيقة الخاصة بهذه المشكلة، ومن ثم العمل على دراستها والتحقق من صحتها ووضع الفرضيات، انتهاء بذكر النتائج واقتراح الحلول المناسبة[21].

3-5-خصائص أخرى[22]:

- نظري؛ لإقامة الفرض وصياغته، والذي هو بيان يخضع للتجريب والاختبار.[23]

- تفسيري؛ أي إنه يستخدم المعرفة العلمية لتفسير الظواهر والأمور والأشياء بواسطة مجموعة من المفاهيم المترابطة تسمى النظريات[24].

- من أهم خصائص مناهج البحث العلمي قدرتها على التنبؤ بالمستقبل من خلال العمل على تقديم المعلومات المفصلة والدقيقة التي تخص إحدى الظواهر، حيث يستطيع بعد القيام بدراستها وتحليلها الاعتماد عليها لتكون حجر أساس للأبحاث العلمية التي تدور حول نفس الظاهرة[25].

---

[19] محمود درويش، المرجع السابق، ص 32.

[20] رحيم يونس العزاوي، مقدمة في منهج البحث العلمي، دار دجلة، الأردن، 2008م، ص 24؛ مهني محمد غنايم، مناهج البحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، كلية الآداب دمياط، القاهرة، 2008/2007م، ص 36-39.

[21] محمود درويش، المرجع السابق، ص 39-40.

[22] محمود درويش، المرجع السابق، ص 48-52.

[23] بدوي، مناهج البحث، ص 13-14؛ عمار بوحوش، دليل الباحث في المنهجية، ص 8-9؛ مهني محمد غنايم، المرجع السابق، ص 40؛ مالية بصال، المرجع السابق، ص 20.

[24] رحيم يونس العزاوي، المرجع السابق، ص 35-36؛ مهني محمد غنايم، المرجع السابق، ص 87.

[25] مهني محمد غنايم، المرجع السابق، ص 140 و 171؛ رحيم يونس العزاوي، المرجع السابق، ص 30. شيماء عادل فاضل ، "محددات البحث العلمي العربي ومتطلبات الارتقاء به – نموذج الدراسة: البحث العلمي العراقي"، مجلة القرطاس، 2-1 (2022م)، ص 177.

-قابلية تعميم النتائج وتكرارها: نتائج البحث العلمي (في العلوم التجريبية) قابلة للتعميم، فنتائج العينة مستخلصة من مجتمع ما، يمكن تعميم نتائجها على هذا المجتمع واستنباط قواعد عامة لتفسير ظواهر مشابهة لوجود تجانس في الصفات الاساسية للظاهرة الطبيعية، بينما يصعب تطبيق هذه القاعدة على ميدان العلوم الانسانية لعدم القدرة على الوصول إلى نتائج صادقة قابلة للتعميم.

-قابلية برهنة واختبار النتائج: النتائج التي توصلنا إلها المنهج العلمي في البحوث العلمية قابلة بشكل دائم للإثبات وامكانية التأكد من صحتها والبرهنة عليها في أي وقت، كما بإمكان أي باحث الوصول إلى نفس النتائج باتِّباع نفس المنهج عند دراسة الظاهرة موضوع البحث.

- الجمع بين الاستنباط والاستقراء، وبالتالي بين الفكر والملاحظة، وعندما يستخدم الإنسان المنهج العلمي؛ فإنه يتحرك بين الاستنباط والاستقراء، و ينهمك في ما يعرف بالتفكير التأملي.[26]

- من أفضل الأدوات التي يستخدمها الإنسان ليوسع من آفاق معرفته ويزيد من المعلومات المختبرة والموثوق بها، وهو طريق الباحث للوصول إلى المعارف والحقائق، ووسيلته للتحقق من مدى ثبات وصدق صحة هذه المعارف والحقائق[27].

---

[26] بدوي، مناهج البحث، ص 6.

[27] بوحوش وآخرون، مفاهيم البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ص 35؛ بوحوش، دليل الباحث في المنهجية، ص 8-9؛ محمود درويش، المرجع السابق، ص 32-33.